شارك في هذا العدد الأساتيذ:

عبد الله كنون

الحسين وجاج

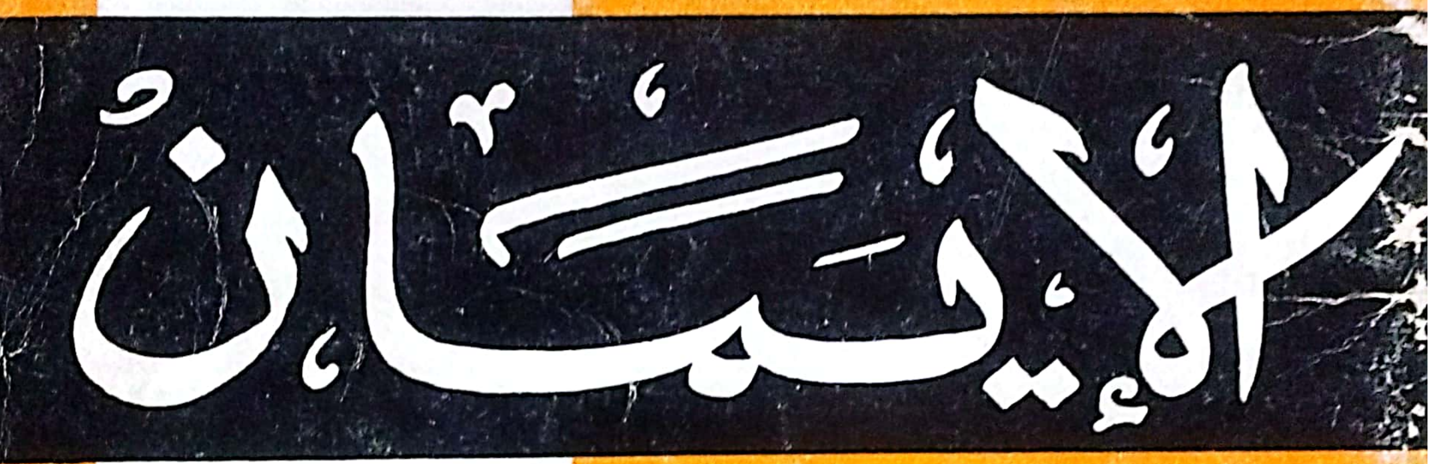
عمر بن كيران

محمد المريني

عبد الكريم بنجلون

علال الفاسي

جمعية شباب النهضة الاسلامية



محمد المنوني

قدور الورطاسي

غريب محمد

شاب مسلم

الحاج احمد بناني

عبد الملك البلغيثي

محمد أديب السلاوي

المهدي البرجالي

مجلة الثقافة الاسلامية والدعوة العقائدية
مجلة الشباب المسلم المعتز بدينه المومن بمثله
مجلة الثقافة العامة والفكر الحر

العدد
5
السنة الأولى

ذو القعدة 1383 ابريل 1964 الثمن : درهم ونصب

مبادئ النجاح في الاسلام

الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون
الامين العام لرابطة علماء المغرب

اذا ذكرنا النجاح ، فقد ذكرنا الامل المنشود ، والحلم الجميل المفقود لكل طالب وكل عامل ، واذا حاولنا الكلام على النجاح ومبادئه ، فقد أثرنا موضوعا يهم الراغب بقدر ما ينبه الغافل ؛ فالنجاح هو غاية كل انسان يكدح في هذه الحياة ، لا يمل ولا يفتر عن طلبه مهما كلفه من التعب والتضحيات ، التلميذ في مدرسته يجد ويجتهد لاجل النجاح ، والصانع في مصنعه والفلاح في حقله والتاجر في متجره ، كلهم يعملون للنجاح ، والعالم والفنان والسياسي ما منهم من أحد الا وهو يود أن يكلل عمله بالنجاح ، والجمعيات والاحزاب والحكومات تضع البرامج وتسعى لتنفيذها لتظفر بالنجاح ، هذا النجاح الذي هو مطلب الكل ومنتهى رغبة الجميع ، له مباديء وأصول اذا لم يستند اليها ولم يقم عليها لم يعد أن يكون أمنية من الاماني وخيالا محبوبا يعيش فيه صاحبه كما يعيش المدمن في عالم المخدرات بالوهم والتسويل .

انما لكل انسان مبادىء وأصول يظنها كافية لانجاح عمله ، فمن نجح احتفظ بمبادىء نجاحه وبنى عمله عليها في المستقبل أخذا بتجربة نفسه ، والتجربة أصدق دليل ، ومن أخفق رجع الى ما عنده من المباديء فأدخل عليها التعديل اللازم واستأنف عمله بمقتضى ما وصل اليه من العلم الجديد ، فمباديء النجاح تختلف باختلاف الناس علما وفهما ، وتتنوع بتنوعهم مزاجا وخلقا ، وهي من الكثرة بحيث تعادل عدد الناجحين في هذه الدنيا ، فبالاطلاع على حياة الاعلام التاريخية ، ودرس تراجم المشاهير من الرجال في كل عصر وفي كل جيل ، يقف الانسان على وسائل عديدة واسباب كثيرة لنجاح هؤلاء الافراد المتازين من البشر الذين استطاعوا ان يفرضوا انفسهم على التاريخ من دون الملايين المعاصرين لهم ، فيسجلوا تواريخهم في الصحف الخالدة ، ويبقوا ذكرهم على ممر السنين والاعوام . ثم هؤلاء منهم من تحدث عن سبب نجاحه أو تحدث الناس عنه بذلك ، ومنهم من كان يكتمه ويطويه في دخيلة نفسه .

ومن الناجحين من لم يتحدث لنا عن نفسه بشيء ولا تحدث الناس عنه كذلك ، وخصوصا اهل الطبقة المتوسطة وذوي الاعمال العادية ، وهؤلاء كثير ، بل هم أكثر من غيرهم ، ولا شك أن لهم وسائل ومعدات للنجاح تتفق مع اعمالهم وادراكهم ، وقد دفنت معهم فحرم منها من هو فى درجتهم وعلى مثل وضعيتهم ، اذ كان يمكنه أن يستفيد منها ويتدرب بها ، ومنهم من كان نجاحهم لحادث بسيط وقع لهم فى حياتهم ، ومن كان نجاحهم صدفة من غير تدبير ، ومن كان نجاحهم نتيجة اخفاق غيرهم ، الى ما عدا ذلك من الاسباب . فأنت ترى أن مباديء النجاح كثيرة ، وهي على كثرتها منها الطبيعي وغيره ، ومنها الشخصي والعمومي بحيث لا يتأتى لنا الحديث عنها لعدم امكان احصائها ، ولعدم فائدة حصره ، ولكن نحن ننظر فيما كان منها عموميا لا يتقيد بحال ، لما نرجوه من المصلحة العامة فى ذلك ؛ ولما نود أن نطبقه عليها من تعاليم الاسلام الخالدة ، والاسلام كما هو معلوم لما كان آخر الاديان لم يحفل الا بأصول المسائل وأمهات القواعد التي يكون عليها المدار ؛ وتبقى ببقاء الزمان لا تتبدل ولا تتغير ، لكونها من السنن الكونية ولن تجد لسنة الله تحويلا . أما الجزئيات والتفاصيل التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والحال والاعتبار ، فقد وكلها الى أنظار الامة تقدرها بضروراتها ، وتقضي فيها على حسب ظروفها ، نفيا للحرج عن الناس ، وجريا مع ناموس التطور الذي لا محيد عنه . وهذا سر من أسراره العظيمة التي أمكنه بها أن يساير الحضارات المختلفة فى شتى اتجاهاتها ، ويؤوى تحت لوائه أجناسا وعناصر متباعدة من بني الانسان ، فيؤلف بينهم ويكون منهم مجموعة متشابهة فى الميول والاذواق والنفسيات والاخلاق ، حتى فى العصر الحاضر الذي امتاز بزيغ أكثر الطوائف الدينية عن دينهم ، ذهابا مع تيار العلم المادي الذي هو روح المدنية الحديثة ، استطاع الاسلام أن يثبت وجوده ، ويوفق بين نظريات العلم وأصوله الاعتقادية والتشريعية ، فلم يصد أتباعه عن الاخذ بأسباب المدنية الحديثة ، ولم يجعل بينهم وبينها ، هذه الهوة السحيقة التي توجد بينها وبين أتباع الاديان الاخرى الذين يريدون أن يتمسكوا بدينهم ولا يضحوا به فى سبيل مادية العلم .

هذه المباديء التي هي فى نظرنا ثابتة لا تحول ، ومستمرة لا تزول ، تنحصر فى عدد الاربعة ولا تزيد عنها بحال ، وهي : العلم والعمل والاخلاص والصبر . فيالها من دعائم قوية ، وأركان متينة ، بها توغلت الافراد فالامم معارج الرقي وبلغت الى قمة المجد وسماء العز ، ونالت غاية النجاح والفلاح ، وان سائر الوسائل قد تتخلف وجميع الاسباب قد تنقطع ما عدا هذه فانها دائمة باقية لا غنى عنها لطالب دين او دنيا ، لفرد أو جماعة ، لامة كأمتنا بالخصوص ، قعد بها الدهر عن مجاراة الاحياء ، وموأتاة سنة الكون فى النشوء والارتقاء ، فأصبحت خالفة تتطلع الى مصاف الامم المتقدمة وهي عنها بمعزل من وراء وراء .

العلـــــم :

المبدا الاول من مبادىء النجاح العمومية ، العلم وما قولنا فى العلم الا انه الوصف المحقق لمعنى الحياة ، فالحياة بدونه معنى باطل ، وقديما نظر اليه ابن تاخميست من شعراء المغرب هذه النظرة فقال بيتيه المشهورين :

اخو العلم حـي خالـد بعد موتـه وأوصالـه تحت التـراب رميـم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرى يعـد مـن الاحيـاء وهـو عـديـم

واذا كان العلم كذلك ، فلن يتاتى نجاح فى أمر ما ، اذ يكون بمثابة فاقد الحياة وهذا لا يوصف بنجاح ولا ضده ، نعم قد يواتي الحظ بعض الجهال فى بعض الاحيان فيرتفع الى مرتبة لا يستحقها ، او ينجح فى أمر لا يكون مـن ذوي الخبـرة بـه ، وحينئذ تقوم قيامة العجزة والقاصرين فيضجون قائلين : انظروا الى الامور كيـف توضع فى غير موضعها ، والكفاءات كيف تحرم من حقها ، وربما بالغ بعضهم ففاه بما فيه تجريح للعدالة الالهية كابن الراوندي حيث يقول :

كـم عـالـم عـالـم أعيت مذاهبـه
وجاهـل جاهـل تـراه مـرزوقـا
هـذا الـذي تـرك الافكـار حـائـرة
وصيـر العالـم النحريـر زنديقـا

انما لا ينبغي أن يعد كل من لم تتوفر فيه الشروط ــ فى نظرنا ــ قاصـرا فى الواقع عن الامر الذي نجح فيه ، فربما كان هناك سبب قوي أو أسبـاب لنجاحـه لم نطلع عليها لكونه يحتفظ بها فى سره كما قدمنا من أن كثيرا من الناجحين يبقون سر نجاحهم مكتوما لا يطلع عليه أحد . وربما كان النجاح نفسه مزيفا ليس كمـا يظهر لهؤلاء المتذمرين الساخطين . ثم اذا أسقطنا جميع الاعتبارات يبقى أن الناجح على هذه الحالة انما هو واحد أو اثنان فى المائة شذا عن القاعدة ــ ولكل قاعـدة شذوذ ــ ولذلك فنحن مطالبون بمجاراة سنن الكون العامة التي منها ان العلـم اساس النجاح وغير مامورين بانتظار المصادفات وخوارق العادات ، على أن هـذا الشذوذ خاص بالافراد ، وأما الجماعات فلن تجد فيها من لم يركب سفينة العلم بغية نجاح مسعاه ، واذا كان لا يهمنا هنا الا أمر الامة التي هي عبـارة عن جماعـة كبيرة من الناس ، فالعلم لها ضروري لا تحيى الا به كما لا تحيى الارض الميتـة الا بالمطر ، وهل يستطيع احد ان يدلنا على أمة ناجحة فى سياستها واقتصادها وجميع شؤونها العامة دون أن يكون لها قدم راسخ فى العلم والعرفان ، بل هـل يستطيـع احدان ينكر أن هذه الامم التي وقعت تحت سيطرة الغير انما سبب محنتها الاقوى الغبـاوة والجهـل .

هل ساس شعبا وقاد الجيش من جهلا سر فى البلاد وسائل ساكنيها معا

ان التقدم علم قارن العملا (1) سر فى البلاد وقابل من ترى لترى

ثم المراد بالعلم الذي تبنى عليه حياة الامم ، العلم الصحيح المفيد فى ميادين العمل ومجالات الابتكار . لا هذه النفايات والقشور التي يتشدق بها المفرورون ، ويظنون أنهم ملكوا بها ناصية الامور ، فاذا دعوا لملمة أو انتدبوا لمهمة ، لم يغنوا عن الامة شيئا ، وربما كانوا سببا فى مضاعفة البلاء عليها بما يواقعون من الاغلاط ويثيرون من المشاكل ، فى حين يرون أنهم من الذين يحسنون صنعا وهم الاخسرون عملا .

العلم الذي لم يفد الامة حتى فى صنع الورق الذي تكتب عليه ءايات كتابها المقدس ، والابر التي تخيط بها ملابسها وأعواد الكبريت التي تضرم بها النار لا يقال له علم . والامة التي تعجز عن انتاج هذه الاشياء البسيطة وما هو أبسط منها ، فقد تستورد أعواد الكبريت بدون علب فتجعلها حزما لانها لا تقدر على صنع علب لها . هذه الامة لم ترح للعلم رائحة بعد ، ولا تصورت له معنى ، الا ان يكون معنى مقلوبا لا فائدة فى تصوره ، ونتيجة ذلك ما نرى من فقرها فى الصنائع والفنون والعلوم الضرورية للحياة كالطب والهندسة وما اليها .

ومما يؤسف له ان يكون دين هذه الامة اول الاديان حضا على العلم ، وهي لا تأخذ به ، فالاسلام هو الذي رفع راية العلم ، وأكبر شأن العلماء بما لم يماثله فيه قانون شرعي ولا وضعي ، وجعل أول الواجبات على المكلف العلم ، وفى كتابه المقدس من الآيات البينات الدالة على شرف العلماء والباعثة على طلب العلم ، ما لا يحصى كثرة كقوله : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقوله : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » وقوله : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وقال فى خصوص طلبه وهو دال على ارسال البعثات العلمية : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وقال فى السياحة العلمية والاستفادة من آثارا لامم الماضية : « أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » وقال لنبيه : « وقل ربي زدني علما » . وفى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الاقوال فى هذا الصدد مثل : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) يعني ومسلمة . لان النساء شقائق الرجال فى الاحكام ومثل : (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء) وفيه دليل على ان ما يدفع الله بالعلماء عن الامة اكثر مما يدفع برجال الحرب ، وهو مشاهد فى أمتنا بالخصوص .

---

1) هذان البيتان للكاتب من قصيدة كان القاها فى المدرسة الاهلية بتطوان فى ايامها الاولى .

ومثل : (اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني من الله تعالى فلا بورك لي فى طلوع شمس ذلك اليوم) ومثل : (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) : ومثل : (اطلبوا العلم ولو بالصين) وفيه الحث على الرحلة فى سبيل العلم ويؤيده الحديث الصحيح : (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) الى غير ذلك مما هو معلوم ، فيا ليت شعري كيف صار ان الامة التي هذه آيات كتابها ، وأحاديث نبيها تهيب بها الى العلم وتجعله عليها فرضا كفرض الصلاة تتأخر عن طلبه وتتخلف عن تحصيله ، وهي ترى ما أحاط بها من الاخطار ، وتعلم أن سببه الجهل ، فلو لم تنبعث له من تلقاء نفسها لما فيه من نجاح أمرها ، لانبعثت له بداعية الدين ورغبة المؤمنين ، فاللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما .

العمل :

ثاني مبادىء النجاح العمومية العمل ، وهو ثمرة العلم ، فاذا حصل العلم لشخص وجب عليه ان يعمل بحسب علمه ليحصل له النجاح ، أما اذا انزوى العالم فى بيته وانقبض عن الناس ولم يفكر فى النفع ، ولا حام حول ذلك الحمى فانه والجاهل سواء ، ان لم يكن اسوأ حالا منه ، لما يعتريه من الكبر والعجرفة ، وربما آذى الناس فكان أبصر بوجوه الاذاية من الجاهل ، وربما سخر الناس لمنفعته الخصوصية وأوهمهم أن ذلك خدمة للعلم وتعظيم لشأنه ، وما هو الا استغلال لهم وضحك على ذقونهم ، وبيننا من هذا الصنف من الناس كثير ، وكثير ممن لا حاجة بنا الى تسميتهم ، ولذلك فان المغرب لم يرفع بهم رأسا ، ولا حصل على حظ من اصلاح ديني ولا دنيوي ، ولقد قيل للمهلب : بما ادركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم ، قيل له : فان غيرك قد علم اكثر مما علمت ، ولم يدرك ما أدركت ، قال : ذاك علم حمل ، وهذا علم استعمل .

فالمدار اذن على العمل ، ولولاه لما رأينا من آثار العلم والمعرفة شيئا ، بل لما كانت هذه المدنية العجيبة التي يعيش العالم فى بحبوحة نعيمها ، ويتمتع باجتناء ثمراتها ، فمن خفف متاعب الانسان ، وحمل عنه أوزاره وضمد جراحه وآسى علله غير العلماء العاملين المجدين ؟ من الذي فتح بصره على النور فعلمه ما لم يكن يعلم ، وقرب بينه وبين الابعاد السحيقة فرآى ما لم يكن يراه وسمع ما لم يكن يسمعه غير العلماء العاملين المجدين ؟ أفرأيت لو قعد رجال الفكر وأساطين العلم عن البحث والعمل ، هل كنا نركب القطر والسيارات مستريحين من تعب الحمير والجمال ؟ هل كنا نركب السفن البخارية ونجوب البحار مستغنين عن الريح غير خائفين عن مداعباتها الثقيلة ؟ بل هل كنا نتحدث الى أحبائنا وأصحابنا بالهاتف والبرق وبيننا وبينهم المسافات غير المعدودة فنسمع أصواتهم ، ونتلقى أجوبتهم للتو والساعة ؟ بل هل كنا نسمع من المذياع أخبار الدنيا فنعرف مجرى السياسة العالمية ونتتبع تطوراتها اليومية من غير أن تستعمر الجرائد والنشرات الرسمية افكارنا ، وتلعب الدعايات المأجورة بعقولنا ؟ .

ونظر فى حياتنا الاجتماعية ، فنرى أن للعلماء العاملين فيها من الآثار المحسوسة ما لا يمكن لاحد نكرانه ، بل نجد أننا تكيفنا بهذه الآثار فصارت جزءا متمما لحياتنا لا يمكننا الاستغناء عنه ، فبفضل جهودهم العملية صار لدينا من الادوات ووسائل العيش ومظاهر الرفه وأسباب الراحة ما ظل أجدادنا محرومين منه القرون الطويلة ، فهذا الورق الذي نكتب عليه هل يستهين أحد بمزيته الكبرى مع كثرته المطلقة ، بحيث أصبح عندنا شيئا لا قيمة له ؟ وهذه المطبعة التي طوقت الانسانية بمنتها العظمى اذ أخرجتها من ظلام الجهل الى نور العلم هل يمكننا اليوم العيش بدونها ؟ وهذه ءالات الجراحة ومستحدثات الطب التي خففت من أوجاع البشرية ما لا يحتمل ، ومثلها منتجات الصيدلة التي تعرض علينا فى كل حين أدوية ناجعة فى زجاجات نظيفة هل يمكننا أن نستغني عنها ونكتفي بالمحجم والمكواة ، بل هذا النور الكهربائي فى بيوتنا ، وهذه الشوارع المرصوفة فى مديننتنا ، والحدائق والساحات العمومية تستقبلنا حيثما توجهنا ، كل ذلك أصبح عندنا من الضروريات اللازمة ، بدليل اننا اذا ذهبنا الى مدينة قديمة ، أو خرجنا الى البادية لم نطق المكث بها الا أياما معدودة ، وجميع ذلك من نتيجة الاجتهاد والعمل وسعي العلماء وتدبير المفكرين .

ولما كان العمل بهذه المثابة فان الدين الاسلامي الحنيف وضعه فى المقام الاول من الاعتبار ، وجعله مناط السعادة ، وجازى عليه الجزاء الأوفى ، ولم يهمل منه ما قل ولا ما جل ، حتى مثقال الذرة أثبته ولم ينسه ، وهذه نصوص القرآن شاهدة بذلك ، قال تعالى : « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وقال : « من عمل صالحا فلنفسه » ، وفى هذه الآية بيان أن نتيجة العمل راجعة الينا ، وهي مثل الآية الاخرى : « ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون » وقال تعالى واعدا عباده المومنين الذين يعملون الصالحات بالتمكين لهم فى الارض والاستخلاف : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » وقال وهي من باب ما قبلها : « الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وقال فى جزاء العمل مهما كان صغيرا : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فى قيمة العمل ، وأنه المقصود من العلم والحث على السعي والكسب قصد الاستعفاف والغنى مثل قوله : (من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم) وقوله : (طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وامسك الفضل من قوله) وقوله : (من تعلم علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا) وقوله : (كل علم وبال على صاحبه الا من عمل به) وكان يقول فيما يتعوذ منه : (اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع) الى آخره ، وقال في خصوص السعي والكسب : (لأن ياخذ احدكم حبلا فيذهب فياتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسال الناس اعطوه او منعوه) وقال :

(ان أطيب ما اكل الرجل من كسبه) وقال : (نعم المال الصالح للرجل الصالح) وقال : (ان هذا المال خضرة حلوة فمن اصابه بحقه ، بورك له فيه) وقال : (سبعة تجري للعبد أجورهن وهو فى قبره بعد موته من علم علما ، او كرى نهرا ، او حفر بئرا ، او غرس نخلا ، او بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، او ترك ولدا يستغفر له بعد موته) وفى هذا الحديث من بركات العمل فى العمارة والتعليم وتكثير النسل ما لا يخفى ، وقد مشى سلفنا الصالح على هذا الاثر ، فما قصروا فى رفع مستوى الامة ماديا وادبيا ، والعمل لما فيه خيرها ورفاهيتها ، بل لنفع البشرية عموما والنهوض بها من كبوتها حتى نهضت وتقدمت وصارت الى ما هي عليه الآن من السعادة والهناء ، فعمر قوض مملكتي الفرس والروم ، ورفع راية الخلافة الاسلامية فى مكان رايتيهما ، والرشيد جعل من بغداد عاصمة الدنيا علما وحضارة ورفاهية ، وعبد الرحمن الداخل وضع أساس الفردوس المفقود ، وصلاح الدين حفظ كرامة الاسلام فى الوقت الذي أظهر فيه سماحته ، والكندي ، والفارابي ، والرازي ، والبيروني ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن باجة ، وابن خلدون ، أثبتوا بأعمالهم وءاثارهم تفتح الذهنية الاسلامية لسائر العلوم ، ومساهمتها فى توسيع نطاق المعرفة وتخليصها وتنظيمها بما لم يسبق له مثيل ، فياليتنا ننسج على منوالهم ، ونتشبه بهم فى أفعالهم ان كلا أو بعضا (فان لم يصبها وابل فطل) ، ومن الله التوفيق .

البقية فى العدد المقبل

مساوىء الشكر

قال بعض الحكماء : المعروف الى الكرام يعقب خيرا ، والمعروف الى اللئام يعقب شرا ، ومثل ذلك مثل المطر ، يشرب منه الصدف ، فيعقب لؤلؤا ، ويشرب منه الافاعي فتعقب سما .

وقال سفيان : وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام .